

قراءة في الإخراج والتنظير في المسرح العربي

السبت 4 أبريل 2009 GMT 20:30:00

أحمد شرقي

المسرح العربي بين الاستعارة والتقليد (5/1)

أحمد شرقي: لم تتعرف المنطقة العربية على المخرج كوظيفة مستقلة في عملية صنع العرض المسرحي مبكراً، بل كانت تردد الخطوات التي سار عليها المسرح الاوربي في بداياته، رغم وصول المسرح الى المنطقة العربية بعد ارهاصات كثيرة على الساحة المسرحية الاوربية، واذا تتبعنا التاريخ فأتنا سنجد، بعد ان تخلص المسرح الاوربي من مخاضات الطبيعية والواقعية في القرن التاسع عشر، وبدأ الدخول في لعبة الاتجاهات المسرحية، ثم جاءت بدايات الاعلان عن الرمزية وسحرها، وضرورة الابتعاد عن كل ما يقوؤ المخيلة ويساهم في ضمورها، وتخليص العرض المسرحي من الايقونات الطبيعية والواقعية، السعي للخلاص من استنساخ الواقع ونقله الى خشبة بشكل فوتوغرافي، بل البحث عن عوالم داخلية، حاولت طروحات الطبيعيين والواقعيين قتلها. ثورة الرمزيين وان بدأت ادبية، واستفاد منها المسرح بشكل كبير من خلال طروحات ادولف ايبا وكوردن كريك، اللذان قادا ثورة اصلاحية شاملة على مجمل عناصر العرض المسرحي.

عرفت المنطقة العربية المسرح عن طريق مارون النقاش عام 1848، وبعد ان نقل لنا ما شاهده في رحلاته الى اوربا وبالتحديد الى ايطاليا بغرض التجارة، وايضا مارون النقاش، سعى لاقتباس النصوص الاوربية وتقديمها، وما يهمننا في ذلك هو المخرج وليس الاخراج، هل كانت خطوات مارون النقاش ومن بعده يعقوب صنوع وابو خليل القباني، اخراجية ذات رؤية، تنطلق من النص ويبعد عن نقل النص الادبي على خشبة المسرح؟ بالتأكيد لا، باعتبار ان المسرح لازال واقد غريب على المنطقة، ولهذا كانت اغلب العروض تتم وفق التنظيم والترتيب، وهذا ايضا كان معروفاً بالمسرح الاوربي قبل المخرج الاول الدوق سايكس ممنكن، فأتنا نجد المدراء الفنيين او الممثل الرئيس بالفرقة او المنتجون، هم من يقومون بصنع العرض المسرحي، وهذا ليس مثلبا اذا عرفنا بان ستانسلافسكي ومايرهولد وغيرهم هم بالاساس مدراء فنيون لفرقهم، حتى جاءت كتابات اندريه انطوان باعلان عن وظيفة المخرج، كوظيفة مستقلة عن بقية عناصر الانتاج المسرحي.

بعد كل فترة التقليد والاقتباس سعى مارون النقاش لاجاد خصوصية في تقديم اعماله المسرحية، لعله يبتعد عن تاثيرات الثقافة والمسرح الاوربية، (فانه لجأ في اخر مسرحياته " ابو الحسن المغفل " الى التراث العربي ممثلاً في حكايات "الف ليلة وليلة" ومثله فعل الرائد الثاني ابو خليل القباني مضيفاً الى حكايات "الليالي" عناصر تراثية اخرى كرقص السماح والموشحات الاندلسية) (1).

تلك المحاولات نلتبس فيها الكثير من شخصية المخرج رغم فقرها، لكن الهم في كل ذلك، هناك عقلية فنية بدأت تتلمس طريقة اشتغال بعيدة عن التاثيرات الاوربية، لكن للاسف الشديد لم تتراكم التجارب بعدها، وبالتالي يكون هناك شكل مسرحي اخر (قد تتميز به المنطقة العربية، و(قد يكون للاستعمارات المتكررة للمنطقة العربية الحؤول دون ذلك، كون اغلب ما كان يقدم من اعمال هو مناهض للاستعمار ويتخذ خطابه المسرحي خطاب المباشرة، والنبرة الخطابية، لكننا نتلمس الحضور القوي لشخصية المخرج والاشتغالات الإخراجية في المنطقة العربية في الخمسينيات من القرن الماضي، ويعزوه بعض الباحثين، باعتباره عملية ابداعية في المسرح الحديث الى عوامل عدة منها (عودة جيل من المخرجيين بعد الخمسينيات من اوربا وامريكا وروسيا حيث تأثروا بالتاثيرات الساندة فيها وبتيار الحداثة، وعلى الاخص ستانسلافسكي وارنو وكريك وبريشت... (2).

ينتمي ابناء هذا الجيل الى مختلف البلدان العربية، حاول البعض نسخ تلك التاثيرات وتقديمها على مسارح بلدانهم، والبعض حاول الانفلات من شكل العرض الاوربي، وذهب للاشتغال في منطقة التراث والموروث العربي، وتوظيفها في عرضه المسرحي. لكن من الجدير ذكره بان هناك محاولات جادة في ايجاد خصوصية مسرحية عربية، قبل العمل على الإخراج كونه عملية ابداعية مستقلة وهذا كان في الثلاثينيات والاربعينيات، وكانت هذه الخصوصية تحاول للمشروع المسرحي العربي بالابتعاد عن ما يابنتجه الغرب واوربا مسرحيا، بل محاولة البحث على شكل مسرحي مغاير، ينطلق من المظاهر الاجتماعية في البلد وايضا على مستوى الاشتغال، لكن اغلب تلك الاطروحات كانت تصدر من مؤلفين مسرحيين، بمعنى انها تنطلق من فكر ومخيلة الكاتب الروائي او المسرحي، وليس المخرجين، وهنا نذكر كتابات توفيق الحكيم في (قالبنا المسرحي) و يوسف ادريس في (نحو مسرح مصري) ومن ثم (نحو مسرح عربي)، وبعدهما بيانات سعدالله ونوس، بالمقابل كان هناك اشتغالات لمخرجين بدأت من الخمسينيات، يبحث عن شكل مسرحي اخر او بديل.

سنحاول التعرف على بعض التجارب المسرحية في المنطقة العربية، التي انطلقت من الورق (كتابة نظرية) لمحاولة ايجاد خصوصية مسرحية على مستوى الشكل المسرحي، وايضا لمحاولة المخرجين ايجاد اساليب مسرحية خالصة، كون (ان الاسلوب الخاص وليس الاسلوب السائد هو ما يجب ان يقدمه المخرج في كل مسرحية...) ، وهل هناك تجربة مسرحية عربية ذات خصوصية، ان كان على مستوى الاخراج، او الشكل المسرحي، هل كانت اشتغالات المنظرين والمخرجين، نتاج للمخيلة الواعية، التي تسعى للبحث عن سمات بقائها، بعيداً عن ما تنتجه الثقافة الغربية؟ ام انها تجربة تدوين لما تنتجه اوربا ثقافيا ومسرحيا؟

هوامش:

- 1 - دؤارة فؤ، إطلالات على المسرح العربى ؤارج مصر، الهينة المصرية للكتاب 1997، ص 335.
- 2 - الياس، ماري- حسن ،حنان قصاب، المعجم المسرحي- مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1997، ص 12.

com.ahmadsharji@hotmail